و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

ما الهمُّ الذي تحمله؟

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٩-٠٦-١٤٤٢ هـ

ما الهمُّ الذي تحمله؟

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهدِهِ الله فلا مُضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا رسول الله، أما بعد.

حديثنا اليوم يبدأ بسؤال: ما الهم الذي تحمله؟

وحينما نقصد الهم فأنا أقصد حقيقةً ما يُهمك؟ فلو سألتك ما أكبر همٍّ يشغل مساحة في تفكيرك؟ والهَمُّ الذي يُقيمك ويُقعدك ولا يُنيمك؟ ما هو الهم الذي يشغل كل هذا الوقت أو هذهِ المساحة في حياتك؟

الهم هو الذي يهم ويُقلق ولذلك كانت العرب تقول: همك ما أهمك، فما الشيء الذي يُقلقك ويوترك بمجرد التفكير فيه، أو حتى بمجرد التذكر أن هذا الشيء موجود؟

إن لكل فترة عمرية نوع من اهتماماتها وهمومها، فمثلًا في المرحلة الثانوية عندنا يكون همك الأكبر أن تحصل على مجموع في القدرات والتحصيلي، ثم تسجل في الجامعة، ثم تنجح فيصبح الهم أن تجد وظيفة، ثم يصبح همّك أن تتزوج وتكوّن نفسك، تنتهي من هم الزواج وتدخل في هم الأولاد، وتنتهي من هم الأولاد تزوجوا وأنجبوا فتتكلم عن هم الأحفاد ... وهكذا، فدائرة الهموم غالبًا تمضي مع دائرة العمر أو اهتمامات الحياة، ويُسرَق من العمر بمجموعة من هذه الهموم المتتالية وراء بعضها في سلسلة لا متناهية من الهموم.

فهل هذا هو الهم الأساس الذي يجب أن يُشغلنا ويشغل مساحة التفكير عندنا؟ هل هذا هو الشيء الذي يجب أن نُسخر له كل طاقاتنا وهمومنا وتفكيرنا؟ أم هناك همٌّ آخر يجب أن يسير بالتوازي مع كل هذهِ الهموم ويكون مستحوذًا عليه؟

<u>كيف تميّز همّك؟</u>

قبل أن نتكلم عن أنواعه دعونا نذكر خمس علامات لكي تميز بها ما يهمّك:

1. **الهم هو الذي تفكر فيه كثيرًا.**

يقصد بالهم ما يشغل فكرك ويسير معك أينما كنت فتأخذ من عمرك زمنًا سنة أو سنتين، شهر أو شهرين تنام وتقوم معك، فلا يقصد به ما أهمك ليوم أو أسبوع فقط.

2. **هو الذي تتأثر عند ذكره.**

حين تكون في حالة جيدة طبيعية تضحك وتتحدث، ثم تسمع أحدهم يتحدث عن هذا الأمر الذي أهمّك، تتغير ملامح وجهك، ويتغير شعورك وتوتر بمجرد تذكّرك لهذا الهم.

3. **أن تسعى بقوتك لتحقيقه.**

لما كان هذا الهم يشغل مساحة تفكيرك، فتسعى قدر المستطاع إلى تحقيقه، ترغب بشدة أن ينفرج وينتهي.

4. **أن تُلحّ بالدعاء لحصولهِ.**

فتسعى وتعلم أن سعيك ليس هو العامل الوحيد الكافي، حتى في صلاتك وسجودك تدعي الله عز وجل أن يُفرج عنك هذا الكرب وأن يكشف عنك هذا الهم ويُجيبك في هذهِ الدعوة.

5. دائمًا تُذكِّرُ به.

هو ما يكون دومًا يكون على لسانك في أي جمعة وفي كل أسبوع، دائمًا في البال لأنها تشغل حيزًّا من حياتك.

إذن هذا هو الهم الذي يقلق وهو المقصود في طرحنا للسؤال في بداية حديثنا: ما هو الهم الذي تحمله؟
فكّر معي الآن ما هو الهمّ رقم واحد الذي يشغلك حقيقةً في هذه الفترة العمرية من حياتك، في اهتمامك، في عقلك الآن بعد هذا الكم الهائل من الحصيلة المعرفية، والخبرات الحياتية، أين وصلت همومك؟ وماذا أصبحت اهتماماتك؟ وما الهمّ الذي تحمله أنت؟

<u>هموم الناس عبر التاريخ</u>

لو فتشنا في حياة الناس الآن نجد أن كل عصر له نوع من الاهتمامات تطغى على كل الناس، فمثلًا أيام الدولة الأموية اكتشف الناس الحضارات والبنيان والقصور، فكان همّ الناس في ذلك الوقت موضوع (البنيان وتعمير البيوت)، ومعرفة أحسن مواد البناء.
جاءت بعدها حقب تاريخية في أيام تدوين السنة والحديث وغيرها وكان الغالب على الناس تعلم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة أسانيدها، وكان المجتمع بمختلف طبقاته يعرف سند الحديث ويعرف الصحيح من الضعيف، المتسولون في الطرق، الفقراء، عمال نظافة الطرق، لأنها كانت ثقافة المجتمع في ذلك الزمن معرفة أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام والأسانيد الذهبية ومن لديه إسناد أحسن من إسناد غيره.
وإذا انتقلنا إلى زماننا المعاصر وسألنا عما هي الاهتمامات في هذا العصر؟ وجدنا أن الاهتمامات علمية في اختراعات، والدخول لموسوعة غينيس، اهتمامات حضارية، ومالية.
وغالبًا الحديث أصبح كيف أحقق نفسي؟ كيف يكون لدي وظيفة بها دخل؟ كل الاهتمامات أصبحت منحصرة في مجال العمل، فظنوا أن هذا هو طريق الأمان، لكي تأمن نفسك وتأمن أولادك في هذا الزمان، ظنوا أن هذا الأمر هو راحة البال وهي الطمأنينة والسعادة ونسوا قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال لأصحابه وهم يربطون على بطونهم الحجر والحصى من الجوع : »فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ«[أخرجه البخاري، صحيح] .
إذًا ما كان النبي عليه الصلاة والسلام يخشى علينا من الفقر، لكن على العكس يخشى أن تبسط علينا الدنيا وأن يكون لدينا فائض من الأموال، وإذا بسطت علينا فنتنافسها كم تنافسها الأقوام من قبل فتهلكنا كما أهلكتهم.
ولذلك الله عز وجل ذكر أصناف الناس حينما قال الله تعالى: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾. (البقرة:200)،
<u>فالصنف الأول</u> أقصى اهتماماته الحصول على وظيفة وأن يصبح لديه راتب، فاهتماماته منحصرة من أجل المادة فقط، لمجرد الزيادة من الدنيا لا أكثر، فيقول الله عز وجل عن هذا الصنف: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾. (البقرة:200)، ما له شيء في الآخرة، فالنوع الأول فقط يطلب من ربه الدنيا.

ونجد أن هذه الآيات جاءت في سياق آيات الحجّ في الأخير حين يذكرون الله عز وجل تخيلوا أن هذه هي دعوات الحج ومع ذلك هو يطلب من الله الدنيا فقط، فيقول الله عز جل عنه: ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾.

أما الصنف الثاني فهم الذين يقولون كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. (البقرة:201)، يقول الله عز وجل: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.(البقرة:202)، يُعطى كل إنسان على قدر اهتماماته وعلى قدر الهمّ الذي يشغله.

ولذلك دعونا نتحدث عن هذهِ الهموم فنرحل في رحلة حول اهتمامات الناس على مر الزمن وبالتحديد في زمن الصحابة رضوان الله عليهم، وننظر إلى هؤلاء ما الهموم التي أشغلتهم سواءً كانت هومًا أخروية أم كانت هومًا دنيوية، وسواءً كانوا تجارًا أم فرسانًا، شيوخًا أم شبابًا، بناتٍ في خدورهن أم نساء أرامل؟

ماهي هموم الصحابة -رضي الله عنهم-؟

دعونا نأخذ جولة سريعة في بيوت هؤلاء الناس الذين رحلوا، ونرى ماهي دائرة اهتماماتهم مع كل ما هم فيه من العوز والحاجة؟ وسأبدأ في حديث النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال: »بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ«. قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الدِّينَ».[أخرجه البخاري، صحيح]

"ومنها ما دون ذلك " أي أقصر " فالنبي عليه الصلاة والسلام رأى رؤية كأن الناس عرضت عليه فمنهم من بلغ قميصه إلى ثدييه؛ أي إلى صدره، ومنهم من هو دون ذلك يعني أقصر، ورأى -صلى الله عليه وسم- عمر يجر ثوبه؛ أي لبس ثوبًا طويلًا (قالوا: فما أوَّلت ذلك يا رسول الله ؟! قال: الدِّين).

أبدأ بهذا الحديث وتخيل معي عندما نستعرض مجموعة اهتمامات الصحابة والصحابيات رضوان الله عليهم أريدك أن تقول لو كنت أنا وأنت ضمن الذين عرضوا على النبي عليه الصلاة والسلام في تلك الليلة ماذا كانت أطوال ثيابنا؟ هل ستصل تحت الركب؟ ستغطي الصدر؟ إلى أي درجة ستصل؟ إذا كان هؤلاء في عهد النبي عليه الصلاة والسلام وكانت الأُثواب قصيرة وبالكاد تغطي أجسادهم! ومرّ عليه عمر وهو يجرجر ثوبه.

دعونا نرى الصحابة رضوان الله عليهم كيف كانت أثواب الإيمان عندهم؟ إنَّ ثوب الإيمان يكون بجزء من اهتماماتك التي تعيش فيها، هو ليس بشيء نتقمصه ولا شيء نمثله هو شيء حقيقي نشعر به.

عمير بن الحمام في قصته المشهورة في بدر لما سمع النبي عليه الصلاة والسلام يقول : »قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ«، قَالَ: - يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: - يَا رَسُولَ اللهِ، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: بَخٍ بَخٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا، فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، قَالَ: فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ»

[أخرجه مسلم، صحيح]

بخ بخ : كلمة تقال للتعجب، تخيلوا عمير سيكون من أهلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له ذلك، لكن عندما صاح المنادي ببدء المعركة وكانت مع عمير تمرات، كم هي تمرتين أو ثلاث ؟ لم تكن وجبة بل مجرد تمرات في أصابعه جاء ليأكلها حتى يتقوّى بها؛ لأنهم سيدخلون في معركة، وربما منذ الفجر لم يأكل شيئًا، أو حتى البارحة وهو لا يعلم كم ستستمر المعركة أربع أو خمس ساعات وربما تصل إلى غروب الشمس، لذا فإنه لما أراد أن يأكل ويضع التمرات في فمه، ثم رجعت له ذكرى صوت النبي عليه الصلاة والسلام وهو يقول له: (أنت من أهلها قال: لئن عشت حتى آكل هذه التمرات ت وانطلق بصدره وقاتل حتى قُتل).

إذًا هذا الهمّ الذي كان يشغله في هذه اللحظات الأخيرة من حياته أنه لم يُرِدْ أن يكون هناك عائق ولا حائط دونه ودون الله ولو كانت هذه التمرات! سؤال: كم تمرة موجودة في حياتك تشكل عائقًا دونك ودون الله عز وجل وتحتاج أن ترميها؟ عمير شعر أن هذه التمرات ستشغله عن الله عز وجل وعن السباق إلى الجنة فرماها، أنا وأنت ماذا نحتاج أن ننظر ونتأمل ونستخرج من حياتنا حتى نخرج تلك التمرات التي فيها هذا التعلق بغير الله عز وجل.

إنها لحياة طويلة) يعني حياة طويلة إذا انتظرت حتى أفتح التمرة الأولى ثم التي تليها ما الذي يصبرني! (فرمى بتلك التمر)

حرام بن ملحان في قصته المعروفة حينما طُعن من الخلف غدرًا، وقد كان الرسول الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى أحد الأمراء، فأشار الأمير لـمَنْ في الجهة المقابلة أن يقتله وكان الأمير مشركًا ومَنْ وراءه مشرك، فأخذ الرمح فطعن حرام في ظهره، حتى خرج الرمح من صدر حرام، تخيل معي الموقف أنك كنت تتكلم مع أحدهم أمامك في مجلس ثم لم تعِ بنفسك إلا وقد أصبتَ بألم هذا الرمح الحديدي الذي اخترق عمودك الفقري من الخلف بعظامك ولحمك وخرج من القفص الصدري من أمامك! بهذه الضربة مميتة قاتلة، التي اخترقت القلب والرئة، عرف حرام رضي الله عنه أنه ميت سينتهي أمره، في هذه اللحظة الذي نضح وانفجر فيها الدم لم يلتفت إلى مَنْ قتله ولم يولول ويصرخ من حرارة الألم، إنما أخذ الدم الذي ينفجر الآن على صدرِهِ ينضح به وجهه ويقول: " فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَة"[أخرجه البخاري، صحيح]

فاللحظات الأخيرة هي ما تمثل الإنسان وهي اللحظة الصادقة، ولم يفعل رضي الله عنه هذا الموقف لأن هؤلاء مشركين ويريد التمثيل أمامهم أنه يتحمل ذلك، هو لم يمثل إنما هي لحظة صادقة، ولذلك فإن الذي قتله يقول: " فما زلت أقول فاز فاز بأي شيء فاز؟ فلم تزل كلمته وصوته وهو يقول فزت ورب الكعبة حتى أسلم القاتل " فيُسلم ويبايع النبي عليه الصلاة والسلام من كلمة حرام رضي الله عنه في موته حينما قال: (**فزت ورب الكعبة**).

ما الذي يعين الإنسان على الثبات في لحظة مثل هذه؟ تنزف وتعرف أنك ستفارق الدنيا، كيف شعر حرام أنه هذا هو الفوز الحقيقي؟ أن تنتهي حياتي بهذه الطريقة هذا أعظم فوز قد أتمناه، هذا الهم الذي أشغله طوال حياته، أنه بماذا يختم الله لي؟ ولذلك لما انتهى على شهادة تبسم حرام وقال: (فزتُ ورب الكعبة).

عن أَبِي سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَبِيعَةَ بْنَ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيَّ، يَقُولُ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آتِيهِ بِوَضُوئِهِ وَبِحَاجَتِهِ، فَقَالَ: «سَلْنِي»، فَقُلْتُ: مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ»[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

(سلني يا ربيعة) ربيعة رضي الله عنه ما الهم الذي يشغله؟ تخيلوا الصحابة في ذلك الوقت المهاجرين والأنصار رغم تلك الفاقة والحاجة لم يقل يا رسول الله ادعُ أن يفتح لي وأن الله يرزقني بعمل وتكون عندي تجارة ويكون لدي بيت، لم يدعُ بشيء من الدنيا قال يا رسول الله: (أسألك مرافقتك في الجنة).

نحن لو سألنا النبي عليه الصلاة والسلام، أفضلنا سيقول يا رسول الله ادعُ لي بالفردوس الأعلى، هذا ما سيخطر على باله أعلى مقام، لكن ربيعة لم يسأل حتى الفردوس الأعلى إنما يريد مصاحبة النبي عليه الصلاة والسلام في الجنة، يريد أن يكون مع النبي عليه الصلاة والسلام حيثما؛ لأنه خير البشر وأفضلهم عند الله عز وجل، هو يعلم أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم- سيكون في أعلى مقام، ولذلك قال له النبي عليه الصلاة والسلام: (غير ذلك يعني هذا مقام عالي، أو غير ذلك! (قال: بل هو) ما عندي أي شيء، هو ذاك، أي لا أريد ولا أطلب يا رسول الله إلا أن أرافقك في الجنّة، وحتى هذه لم تأته على طبق من ذهب، وإنما قال له "قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود" **إذا تريد مرافقتي في الجنّة أعنّي على نفسك أي ساعد أنت أيضًا من عندك بأن تكثر السجود.**

ولو سألنا ما أجر وفضل السجود؟ أنك لا تسجد لله سجدة إلا: حُطّتْ عنك خطيئة، وكُتِبت لك حسنة، و رُفِعْتَ بها درجة.

هذا الفضل كل ما سجدت سجدة فإذا كنت تصلي الضحى ركعتين دعها أربعًا، وإن كنت تصلي سنن الظهر فقط ركعتين اجعلها أربعًا، والعصر لم تكن تتسنن صلِّ الأربع التي قبلها، كلما زدت في السنن فقد زدت في السجود وزادت بذلك مراتبك في الجنّة.

ولذلك فإن هذا هو الهم الذي كان يشغلهم، أين سنكون يا رسول الله في الجنّة؟ كان همهم الآخرة.

ذهب أهل الدثور بالأجور

جاء الفقراء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وجاء معهم أبو هريرة وأبو ذر، يقول أبو هريرة -رضي الله عنه- " أَللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَى الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحَجَرَ عَلَى بَطْنِي مِنَ الجُوعِ، وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَى طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ وَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي عُمَرُ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، مَا سَأَلْتُهُ إِلَّا لِيُشْبِعَنِي، فَمَرَّ فَلَمْ يَفْعَلْ، ثُمَّ مَرَّ بِي أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرَفَ مَا فِي نَفْسِي وَمَا فِي وَجْهِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الحَقْ» وَمَضَى فَتَبِعْتُهُ، فَدَخَلَ، فَاسْتَأْذَنَ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلَ، فَوَجَدَ لَبَنًا فِي قَدَحٍ، فَقَالَ: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلاَنٌ أَوْ فُلاَنَةُ، قَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي» قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلاَمِ، لاَ يَأْوُونَ إِلَى أَهْلٍ وَلاَ مَالٍ وَلاَ عَلَى أَحَدٍ، إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا، فَسَاءَنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ، كُنْتُ أَحَقُّ أَنَا أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّى بِهَا، فَإِذَا جَاءَ أَمَرَنِي، فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ، وَمَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُدٌّ، فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ فَأَقْبَلُوا، فَاسْتَأْذَنُوا فَأَذِنَ لَهُمْ، وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ البَيْتِ، قَالَ: «يَا أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ فَيَشْرَبُ حَتَّى يَرْوَى، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ القَدَحَ، حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ رَوِيَ القَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ القَدَحَ فَوَضَعَهُ عَلَى يَدِهِ، فَنَظَرَ إِلَيَّ فَتَبَسَّمَ، فَقَالَ: «أَبَا هِرٍّ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ: «اشْرَبْ» فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «اشْرَبْ» حَتَّى قُلْتُ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا أَجِدُ لَهُ مَسْلَكًا، قَالَ: «فَأَرِنِي» فَأَعْطَيْتُهُ القَدَحَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَسَمَّى وَشَرِبَ الفَضْلَةَ [أخرجه البخاري في صحيحه]

ومعنى كلامه رضي الله عنه أنه يقول ذهبت إلى عمر أسأله ما قال رسول الله في كذا وكذا؟ فجاوبه بجواب، فيقول: وكنت أنا أعلم بالجواب منه، لكن هو يسأله لحاجة، وذهب لأبو بكر قال له: يا أبا بكر ما قال رسول الله في كذا وكذا؟ فجاوبه أبو بكر، كان يمر على الصحابة يسألهم أي سؤال يريدهم أن يضيفوه ويعطوه طعامًا، يريد أي شيء لأنه كان الواحد منهم يسقط من الجوع. فذهب للنبي عليه الصلاة والسلام، فلما رءاه النبي عليه الصلاة والسلام لم ينتظر حتى يسأله سؤالًا قال: تعال يا أبا هريرة، ذهب فأخذه حتى أطعمه وسقاه.

في غزوة الأحزاب كما هو معروف أنهم يكشفون عن بطونهم حتى يحملوا الأحجار ويبنون بها الخندق فيقول: فكنا نكشف عن حجر كل واحد منا، رابطين بطونهم بالحجر، الجوع مؤلم و ليس الجوع المقصود أنه لم يفطر اليوم، بل المقصود يبات أحدهم أسبوعًا كاملًا وهو لم يأكل شيء، ومن ذلك أن يكون له تمرتين يجلس عليها خمسة أيام، هذا النوع من الجوع الذي نتكلم عنه، جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي، فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَمَصًا شَدِيدًا، ...[أخرجه البخاري في صحيحه]

يقول هذا الحديث: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ» [أخرجه البخاري في صحيحه].

جاء وفد من الفقراء معهم أبو هريرة وأبو ذر وأهل الصفة هؤلاء الذين يتساقطون من الجوع، جاؤوا يشتكون إلى النبي عليه الصلاة والسلام (قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور - أي الأغنياء- بالأجور يطعمون ولا نطعم ولهم فضل أموال يتصدقون بها وليس لنا أموال) أخذوا الأجور ونحن مالنا من أجور، أرأيتم الهم! لم يقولوا يا رسول الله ادعُ الله لنا أن يكون لنا أموال، لم يقولوا يا رسول الله أنزل علينا مائدة من السماء كما قال الحواريون، لم يطلبوا

هذا الطلب إنما انظروا إلى الاهتمامات العالية التي كانت عندهم، كانوا يخافون أن أهل الدثور أي الأغنياء يذهبون بكل الأجور بما عندهم من أموال يتصدقون بها ونحن لا نملك مثلهم،

فأرشدهم النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن: (يسبحوا ثلاثًا وثلاثين ويحمدوا ثلاثا وثلاثين ويكبروا ثلاثًا وثلاثين فإنكم إذا فعلتم ذلك لم يسبقكم أحد إلا شخص فعل مثل ما فعلتم) وهي الأذكار التي بعد الصلاة، فسمع الأغنياء بذلك وأصبحوا يلتزمونها فبالإضافة إلى أنهم يتصدقون ويطعمون الطعام صاروا أيضًا يسبحون ويكبرون ثلاثًا وثلاثين بعد الصلاة، فجاؤوا الفقراء مرة أخرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا: (إن إخواننا سمعوا ذلك ففعلوا) يعني يا رسول الله أعطنا شيئًا نتسابق به معهم، هل تخيلتم الهم! هم يريدون شيئًا يسابقون به الأغنياء، ما قالوا: يا رسول الله نريد أن يصبح عندنا أموال، ما كانت هذه قضيتهم، بل القضية خافوا أن يكون هؤلاء في مراتب عالية في الجنة، لأنهم يفرجون الكربات ويتصدقون ويفعلون ونحن ليس عندنا مثلهم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء)

في قول الله عزّ وجل: ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾. (الحديد:21)، لو سألنا عن معنى كلمة سابقوا؟ ما هي نتائج السباق؟ مادام هناك فائز فهناك خاسر، وما دام أن أحدهم وصل فأكيد أن هناك أناس لم تصل، **فلفظة سابقوا أي سارعوا وهذه الكلمة المفترض أن يرجف لها قلبك**؛ لأن الله لما يقول لك سابق أي لا تجلس في مكانك! فلا تظن أن الجنة ستأتي على طبق من ذهب، بل سابق معناها هناك شيء لابد أن تفعله حتى تسابق إلى الله عزّ وجل، ولذلك لا بد أن تخاف على نفسك فمن أي صنف ستكون!

عمر -رضي الله عنه- يقول: (كنت أتمنى يومًا من أيام أبي بكر) يتمنى فقط في حياته يومًا واحدًا من أيام أبي بكر، ما هو هذا اليوم؟ عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ» [أخرجه مسلم، صحيح] لما سأل الرسول-صلى الله عليه وسلم - من أصبح منكم صائمًا، عاد مريضا، مشى في جنازة، تصدق؟ في كل واحد منها أبو بكر يقول: أنا أنا أنا.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أُسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا. [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن] أمر النبي عليه الصلاة والسلام يومًا من الأيام بالصدقة فقال عمر -رضي الله عنه- : اليوم أسبق أبا بكر ، فأخذ كل ثروته وأمواله التي هي حيلته أصلًا ولنفرض مثلًا أن عنده ثمانمئة دينار ذهبي فأخذ نصف هذه الأموال وتركها لأولاده وأهله وأخذ النصف الثاني كله وأعطاه للنبي عليه الصلاة والسلام وجعلها في حضنه، ظن عمر -رضي الله عنه- أنه هنا سبق أبا بكر -رضي الله عنه- لأنه من سينصف ماله مثله! الآن في عصرنا من ينصف راتبه؟

فضلًا عن أن ينصف ثروته أو ماله، فعمر -رضي الله عنه- ظن أنه فعل شيئًا سبق به أبا بكر -رضي الله عنه- فيأتي أبو بكر -رضي الله عنه- بماله وكانت حزمة مال كثير وعلم النبي عليه الصلاة والسلام أن هذه حيلة أبو بكر كلها (فقال: فما أبقيت لأهلك وأولادك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله) أي لن نموت أبقيت لهم الله -عزوجل- ورسوله -صلى الله ليه وسلم- وهذا أغنى الغنى أن يملكوا الإيمان في قلوبهم، وأما المال فيأتي وراءه مال، من يسترخص المال بهذا القدر! يدفع هذا كله وأبو بكر -رضي الله عنه- لا يدري ولا يعرف أن الشهر القادم سينزل له الراتب في البنك مثلنا! لا أبو بكر -رضي الله عنه- تصدق بماله كله وهو لا يعلم سيأتيه مال غيره أو لا، لكنه قال: (**أبقيت لهم الله ورسوله**) والله لن يضيعنا.

يتتبعون هديه ويسابقونه

الصحابة رضوان الله عليهم من علو الاهتمامات وعلو الهمم لم يكونوا يسابقون بعضهم بعضًا، فيقولون: ماذا يفعل أبو بكر وعمر؟ نريد أن نفعل مثلهم، لا. بل كانوا يسابقون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ونحن نقرأ سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- أو شمائله ونقول: هو رسول الله من يستطيع أن يفعل فعله؟ من يصبر صبر الرسول عليه الصلاة والسلام؟ من يقوم الليل مثل الرسول عليه الصلاة والسلام؟ هذه نظرتنا نحن، أما الصحابة الذين عايشوا النبي عليه الصلاة والسلام فكانوا يتتبعون النبي عليه الصلاة والسلام يريدون أن يفعلوا كما يفعل. ولذلك كانوا يذهبون إلى زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فيقولون: **حدثونا ماذا عن ليل رسول الله كيف كان يقوم الليل؟ حدثونا عن عبادته، عن خشيته، عن كل شيء بالتفصيل، يسألون عنه لأنهم يريدون الاتباع.**

رآهم النبي عليه الصلاة والسلام وهم يواصلون الصيام، ومعلوم أننا منهيين عن الوصال في الصيام وهو أن تصوم يوم وراء يوم من غير أن تفطر ، من غير أن تأكل تمرة أو تشرب ماء، طبعًا لما نتحدث عن الوصال قد تظنون أن فكرة الوصال عادية، قد يقول أحدهم لو واصلت يومين لن أجوع، لكن لا تقس الأمر علينا نحن الذين نفطر بأصناف الطعام، وربما بطنك ما فرغ ولا جاع من وجبة الأمس التي تناولتها ليلًا، وكم صمنا وبطوننا ممتلئة، وربما تحتاج أن لا تأكل ثلاثة أيام حتى يتفرغ الموجود بها، فتخيلوا الآن هؤلاء يواصلون على حاجة وعوز وفقرا!

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاصَلَ، فَوَاصَلَ النَّاسُ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَنَهَاهُمْ، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ، قَالَ: «لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَظَلُّ أُطْعَمُ وَأُسْقَى»[أخرجه البخاري، صحيح]

فلما رأوا النبي عليه الصلاة والسلام يواصل الليل بالنهار يومين وثلاثة وأربعة أيام، صار الصحابة -رضوان الله عليهم- يواصلون مثله فنهاهم النبي -عليه الصلاة والسلام- فقالوا: يا رسول الله أنك تواصل -بمعنى إنا رأيناك أنت تواصل- فقال: (لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَظَلُّ أُطْعَمُ وَأُسْقَى)، أي من الله عز وجل. لما قال لهم رسول الله -صلى الله عليه

وسلم- لا تفعلوا، ما فرحوا وقالوا: الحمد لله، رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يريدنا أن نواصل، هم لا يتعاملون بهذه الطريقة، بل قالوا: يا رسول الله أنت تواصل، فلاحظوا كيف كان الصحابة ينافسون النبي عليه الصلاة والسلام.

هموم في وسط المعارك

كان قادة المسلمين يتواصون بين بعضهم البعض ويقولون: لا تولوا البراء على المسلمين فإنه مهلكة من المهالك. البراء بن مالك كان فارسًا شجاعًا لدرجة أنه لما يتولى القيادة فإن مَنْ يكون معه يتعب، فالجيش يتعب لما يتسم به من القوة ومن الصلابة؛ يسألهم: لماذا ترتاحون؟ كان مغامرًا فارسًا شجاعًا سواء كان الطريق فوق بحر أم جبل، ولذلك كان قادة المسلمين يقولون: لا تولوا البراء فإنه مهلكة من المهالك.

هذا البراء الفارس الشجاع لما صارت المعركة مع مسيلمة الكذاب وفي حديقة اليمامة وصاروا هؤلاء متحصنين بحصن تعصّى على المسلمين وما استطاعوا أن يقتحموه، إذ أراد جيش مسيلمة أن تكون لهم دائرة النصر على الجيش المسلم، فلم يتحمل البراء ذلك، لم يتحمل جلوسهم خلف الحصن وكأنهم لا يستطيعون فعل شيء،

فأمر من معه من إخوانه وقال: احملوني على أعقاب الرماح، فأخذوا مثل الدرع درع دائري كبير وحملوها على الرماح وركب هو فوقها إلى أن أشرف على السور، فأخذوه فحملوه على مكان مرتفع، لقد قام بعملية فدائية سيذهب لحصن الأعداء المتربصين، ماذا تتوقع لهؤلاء الأعداء إذا سقط بين أيديهم رجل واحد؟ بالتأكيد سيقتلونه،

قال: **أرموني عليهم فإني أفتح الباب لكم**، أي فقط أرموني عندهم وأنا سأتصرف، ولم يكن أمام المسلمين خيار ولم يكن لديهم خطة بديلة، فأولئك الأعداء يرمونهم وهم متحصنين بالسور والمسلمين في العراء، فالمعركة غير متكافئة لذا لم يكن عندهم إلا هذا الحل،

أخذوا البراء فرموه وما إن رموه ووصل إلا احتوته السيوف فبقروا بطنه، أي فصلوا بطنه كله حتى اندلقت أمعاءه خرجت كلها، يموت البراء؟ ينادي الإسعاف؟ لقد فدى نفسه لأنه يحمل همًا من أجل الإسلام والمسلمين **ولأنها معركة فاصلة بين الحق والباطل، فمسك أمعاءه وبطنه بيده فلم يزل يقاتلهم بسيفه ويمسك بطنه بيده الأخرى حتى وصل الباب وفتحه** ودخل الجيش المسلم من الباب،

فتخيلوا كل هذا فقط ليفتحوه، وبالفعل ينتصر المسلمين بعد ذلك في هذه المعركة لهذه البطولة، وما مات البراء في هذه المعركة مات بعدها. لكن القضية هنا لما ترخص حياتك في سبيل الله، عندما لا تكون حياتك هي الهم، فضلًا أن يكون همك الدنيا أو راتبك أو المجد الذاتي وسيرتك الذاتية، هؤلاء كانوا يعيشون الهم الأول هو الله عزّ وجل ثم كل الدنيا تأتي بعد ذلك.

جعفر -رضي الله عنه- حينما سقطت يده الأولى في المعركة هل تراخى عند أول ضربة ألم؟ عند أول نزعة يد؟ عند أول نزيف حقيقي ليس نزيف معنوي؟ لا. كان الهم الذي عنده مسؤولية الإسلام بحمل هذه الراية التي بين يديه، رسول الله -صلى الله عليه و سلم- أعطاني هذه الراية فقال: يحمل الراية جعفر، لو كنت إنسانًا

طبيعيًا فقط وقطعت يدك مباشرة ترمي الشيء الذي معك وتذهب للعلاج حتى تبقى على قيد الحياة، لكن هذا الهم لم يكن موجودًا عند جعفر، **فلما قطعت يده التي يحمل فيها الراية مسكها بيده الأخرى فتقطع الثانية، فيمسكها بعضديه أي المتبقي فقط من جسده، فينحني عليها بعضديه يمسك هذه الراية حتى يقتل هو ورايته.**

تخيلوا لو لم يكن عند جعفر -رضي الله عنه- هذا الهم وأن يقوم بهذه الأمانة! من سيقوم بهذا الموقف؟ وتخيلوا لو كنا نحن مكانهم، صياحنا والولولة والصراخ رجالًا ونساء، أنا لا أتكلم عن نساء فقط ولكن لو نظرنا لأقوى الرجال في زماننا وتقطع يده كيف سيولول ويصرخ؟ لأنه لم يتعود، وما الهم الذي لديه أصلًا ويحمله في حياته؟

أبو عقيل أحد الأنصار في معركة اليمامة دخل الرمح في كتفه وقيل في ركبته، لما يدخل الرمح فهذه ضربات قاتلة، الرمح ليس مثل السهم؛ الرمح يعني حديدة لا تقل عن قبضة اليد في السمك، فلا يدخل هذا السمك كله إلا بضربة قوية فيدخلونها لأن رأسها حاد، دخول الرمح في كتفه أدى إلى اختراق رئته وغيرها فسقط مغشيًا عليه ثم أخذوا يعالجونه، سمع صيحة الأنصار، سمع أحدهم في داخل المعركة يقول: يا آل الأنصار وأبو عقيل من الأنصار، فما استطاع أن يبقى على سرير الجراح، فذهب إلى المعركة يحبو حبوًا، هل تتخيلون المنظر! ما السيف الذي معك؟ وكيف ستقاتل وما بك حيلة وأنت تحبو حبوًا؟ **لكن هذه كانت الهموم التي تعتمر في صدورهم، ولذلك كانوا يحيون حياة لا تشبه حياتنا**، تعالوا قارنوها باهتماماتنا فما الهم الذي تحمله؟ وما هو هم الإسلام وهم الدين وهم الآخرة الذي يعتلي في قلبك؟

بين المكاره والشهوات

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ " قَالَ: " فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا "[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن صحيح] من المستحيل أن تقول لأحدهم أنك لو فعلت هذا فجزاءك النار ويفعل، فقط لا يسمع بها فضلًا عن أنه يراها، فحفها الله بالشهوات، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا "[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسن صحيح].

فإذا أردت أن يكون همك واحدًا فركّز على الغاية الكبرى، لا تشغلك المكاره التي هي دون الجنة، ولا تشغلك الشهوات دون النار، كأن أحدهم يضع لك شيئًا حلوًا في طريقك وفي الأخير تجد نفسك على حافة جبل تسقط منه، وكأن أحدهم يعطيك شرابًا مرًّا يمتحنك فيه وفي النهاية تذهب إلى مكان جميل، فأيهم يستحق الصبر! تصبر على المر لأن عاقبته هي الجمال أم تذهب بسرعة لا تستطيع أن تتحمل هذا الشيء الحلو وعاقبته الجبل الذي ستسقط منه، هذا الأمر متخيل في حياتنا الدنيوية لكن الله علمنا أن هذه الجنة محفوفة بالمكاره وأن النار

محفوفة بالشهوات، لما خلق الله النار طارت أفئدة الملائكة انخلعت قلوبهم لأن الله خلق النار لـمَنْ؟ لم يُخلَق آدم بعد فكانوا يظنون أن الله خلق هذه النار كلها لهم؟ إذ الواضح أن النار هي غضب الله عز وجل وعقابه، إذن لمن ستكون النار؟ فطارت أفئدة الملائكة لذلك، فلما خُلِقوا بني آدم عادت قلوبهم إليهم، عرفوا أنهم ليسوا المقصودين بهذه النار. فكيف يجب أن تكون اهتماماتنا؟

أبو سلمة رضي الله عنه حينما أسلم وأراد أن يهاجر أخذ زوجته وولده، فمنعوه قبيلة زوجته منها وقبيلته من ولده وخاصموه، تفرقت عائلته في لحظة فقال لهم: الموعد الجنة وذهب، لكن الله لم يضيعه، كلها كانت فترة ثم رحموا زوجته فردوا عليها ولدها ثم ذهبت به وهاجرت. لكنه الامتحان الأول، أن تثبت في هذا الامتحان لما تتفرق عائلتك أو لّا تثبت!

سعد بن معاذ حينما أسلم قال: "إن نساؤكم وأموالكم حرام علي حتى تسلموا" خاصم الدنيا كلها من أجل دينه وإسلامه الذي ربما لم يمر عليه خمس دقائق فقط، هو لم يكن مسلمًا وعمره خمس وعشرون سنة في الإسلام ذاق فيها حلاوة الإيمان والإسلام، فيحمد الله يا رب لك الحمد أننا لسنا يهودًا، ولم تجعلنا من الناس التي تعبد البقر أو الفئران، فلك الحمد يا رب على نعمة العقل والدين، هو لم يكن كذلك، سعد بن معاذ -رضي الله عنه- حينما امتلك قلبه الإسلام في أول خمس أو عشر دقائق خاصم العالم كله وقال: "إن نساؤكم وأموالكم حرام علي حتى تسلموا" فأسلمت قبيلته بأكملها لأنه يحمل هذا الهم الصادق.

عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مسك يد عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه - في يوم من الأيام، فلما وصلوا إلى القبر رمى عمر بنفسه وأجهش في البكاء، فقال له عبد الرحمن بن عوف ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: ليت أم عمر لم تلد عمر، أنسيت هذه الحفرة يا ابن عوف؟ هذا الذي بكى هو الذي بشره النبي عليه الصلاة والسلام فقال: "دخلت الجنة، فرأيت فيها قصرًا - أو دارًا - فسمعت فيها صوتًا، فقلت: لمن هذا؟ فقيل: لعمر، فأردت أن أدخلها، فذكرت غيرتك يا أبا حفص "، فبكى عمر، وقال مرة: فأخبر بها عمر، فقال: يا رسول الله، وعليك يغار. [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح]. عمر هذا الذي يُبشَّر بهذا القصر العظيم في الجنة لم يريحه هذا الضمان، لا بل كلما زاد الإيمان كلما زاد الإحساس بالتقصير لأنه كما قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾. (فاطر:28)، **فكلما كان الإنسان بالله أعلم كلما كان لله أخشى.**

عبد الرحمن بن عوف لما مضت فيهم الدنيا وفُتحَت عليهم، ففتحوا الأمصار وصار عنده مالًا كثيرًا وهو في أصله من تجار المسلمين، لما مرّت به السنوات بعد خلافة عمر -رضي الله عنه- وفي يوم من الأيام وهو يأكل الطعام على مائدته جاءه خاطر فما أن وضع اللقمة في فمه وذاق حلاوتها بكى وقال: (مات أخي مصعب وهو خير مني ولم يشبع من طعام قط). لأن الهم الذي يحملونه ما كان هم الدنيا ولا الاستكثار من المال، بل همهم إلى آخر لحظة هو الهم الأخروي فيخافون أن تعجل لهم حسناتهم فيأخذوها كلها في الدنيا، "مصعب هو خير مني" ومع ذلك ما عُمِّر في الدنيا وما جاءه من الخير مثل ما جاءني ولا أكل من الدنيا مثل ما أكلت، فلا يشك عبد الرحمن بن عوف أن مصعب بن عمير هو أخير أفضل منه ومع ذلك لم ينعم بالدنيا مثل ما نعمت.

طلحة كان لا يمر عليه قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (مريم:71)، حتى يبكي، طلحة هو الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام :" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى شَهِيدٍ يَمْشِي عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ" [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: صحيح]. **هؤلاء رغم أنه عندهم هذه الضمانات الأخروية وما أعظم أن تكون من المبشرين بالجنة فذلك يعني أن ذنبك مغفور، ومع ذلك كانت هذه الآيات تبكيهم.**

فاطمة - رضي الله عنها- لما تقدم لها علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- وكان شديد الفقر، لم يكن عنده الشيء الكثير مجرد ثوب وقطيفة، شيء يلبسه و وسادة و مطحنة الدقيق،

ومع ذلك زوجه النبي -عليه الصلاة والسلام- فاطمة حبه وقرة عينه، فتأتي وقد تعبت من الخدمة، تخيل معي في كل مرة حتى تأكل رغيف خبز الذي ننهيه نحن في دقيقة كانت تضطر تطحنه وعملية طحنه كانت عملية متعبة في الرحى، ويحملون الدقيق على رؤوسهم إلى مكان ويرجعون من مكان، فتعبت من الخدمة وجاءت إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- الذي هو في لفظنا الآن رئيس الدولة أو القائد الأعلى للقوات المسلحة وفوق هذا كله هو نبي هذه الأمة أصلًا،

فتأتي له وهي أحب البنات إلى النبي عليه الصلاة والسلام والتي يسميها مرحبًا بشبيهة أبيها، بحب أبيها، والتي يوليها النبي عليه الصلاة والسلام حبًا لمكانة خاصة في قلبه، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «تَسْأَلُهُ خَادِمًا» فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكِ بِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكِ مِنْهُ تُسَبِّحِينَ اللَّهَ عِنْدَ مَنَامِكِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتَحْمَدِينَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَتُكَبِّرِينَ اللَّهَ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ»"[أخرجه الحميدي في مسنده، وقال الألباني: صحيح] ولم يعطها خادمًا لأن هناك أناسًا فقراء من أهل الصفة، تتلوى بطونهم جوعًا، فلو أتى النبي -صلى الله عليه وسلم- سبي سيبيعهم حتى يطعم هؤلاء الفقراء، لكن لن يعطي ابنته خادمًا لتتنعم و يترك المسلمين.

الرميساء -رضي الله عنها- صاحبة أغلى مهر في النساء، خطَبَ أبو طَلْحةَ أُمَّ سُلَيمٍ، فقالت: واللهِ ما مِثْلُكَ يا أبا طَلْحةَ يُرَدُّ، ولكنَّكَ كافرٌ، وأنا مُسلِمةٌ، ولا يَحِلُّ لي أنْ أتزوَّجَكَ، فإنْ تُسلِمْ فذاك مَهْري، ولا أسألُكَ غيرَه، فأسلَمَ، فكان ذلك مَهرَها. هذه الرميساء هي التي نزلت فيها وبزوجها قول الله عز وجل: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. (الحشر:9).

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي «إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلاَلِ، ثُمَّ الهِلاَلِ، ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ»، فَقُلْتُ يَا خَالَةُ: مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قَالَتْ: " الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا " [أخرجه البخاري، صحيح]. ماء وتمر ليس ليوم ويومين، أو أسبوع وأسبوعين! وإنما الشهر والشهران والثلاثة، والله لنسأل عن النعيم الذي نحن فيه! لو أكلت سبع حبات من التمر فلا تصل للحبة السابعة حتى تتجرعها / تتغصبها لأنها تؤلم، فكانت تتقطع أشداقهم من حرارة التمر، لأنه طعام حار فتأكل منه القليل، لكنهم لم يكن لديهم إلا هو.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَابَنِي الجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلاَ رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، يَرْحَمُهُ اللَّهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لاَ تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا، قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ - أَوْ ضَحِكَ - مِنْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}.

[أخرجه البخاري، صحيح]

ناموا كلهم جائعين وأطفأوا النور حتى لايرَ الضيف أنه لا يوجد طعام إلا الذي قدموه له، وهم يحركون أيديهم في الصحن كأنهم يأكلون، فعجب الله لصنيعهما ونزلت الآية. فعلت ذلك وما كانت الدنيا أكبر الهم، ما قالت أبنائي كيف يجوعون ولا يأكلون هذه الليلة، ما كانوا يربون هذه التربية.

أعجزت بطون النساء أن تنجب أمثالهم؟

أم حبيب -رضي الله عنها- حينما قُطِّع ابنها حبيبًا، وقصته أن مسيلمة قطع يده وقال: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول: هاه هاه إن في أذني صممًا، فيقول تشهد أن محمدًا رسول الله؟ فيقول نعم أشهد أن محمدًا رسول الله.

فما زال يقطعه ويقطعه وهو أصلا يناكده **حتى ما بقي فيه إلا جذعه**، ما بقي إلا ظهره ورأسه فقط، فقطعه أوصالًا في كل مرة.

القصة معروفة لكن الذي لا نعرفه لما وصلت القصة لأمه جاء النبي عليه الصلاة والسلام يعزيها في حبيب ويخبرها عن هذه الميتة والشهادة الأليمة، هي ليست ضربة سيف فقط، بل مات موتة بطيئة وعُذِّب وهو يرى يده تتقطع إلى ثلاثة أوصال، يده الأولى ثم مرفقه ثم كتفه، قدمه ثم ركبته ثم فخذه، ثم أخذ ينزف إلى أن مات مقطَّعًا رحمة الله عليه،

تخيلي أن هذا ابنك ووصلك خبره! وقد مات بهذه الميتة فتعذب وتألم قبل أن يموت، ولما وصل الخبر إلى أمه قالت: **إنما لمثل هذا اليوم أعددته**.

هؤلاء الأمهات كانوا يربون أبناءهم على مثل هذا القدر من الشجاعة والقوة، ما كانت تربيه حتى يلبس قميصًا ورديًا وعليه "ميكي ماوس" ومسرح شعره وأمامه القهوة بجانبها وردة ويصورها! ما كانت التربية على مثل هذه التفاهة وإنما تقول هي: "إنما لمثل هذا اليوم أعددته" فتفخر بابنها الذي مات ميتة أليمة، إذا قرأت القصة في كل مرة يشعر الإنسان أن قلبه سيقف، وهو يقرأ في تفاصيل ثباته في مثل هذا الموقف، حقًا هي تربية الأمهات اللاتي يربين على هذا الهم.

أم معاوية بن أبي سفيان حينما رأى طفلها مَنْ يعلم الفراسة في الوجوه ويقرأها، ومرَّ به وهو غلام يلعب مع الغلمان، فقال: **إني أظن هذا الغلام سيسود قومه**، فقالت هند: ثكلته إن كان لا يسود إلا قومه! وبالفعل يصبح معاوية بن أبي سفيان هو أول أمير للمؤمنين بعد الخلفاء الراشدين، كانوا يربون على مثل هذا الهم.

كلنا نعرف قصة محمد الفاتح وفتح القسطنطينية والاختراع المبهر الذي اخترعه حتى يفتحها، وكان عمره ثماني عشرة سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة لما فتح القسطنطينية، ما لا نعرفه أن أم محمد الفاتح كانت تأخذ ابنها عند أسوار القسطنطينية وهي مدينة بيزنطينية محصنة، وتنظر إلى ابنها وهو صغير وتقول له أرجو أن تكون أنت مَنْ يفتحها، **كانت الأمهات تربي لمثل هذا الهم**.

ولذلك حينما تحدث الناس في المجالس لأبي بكر -رضي الله عنه- عن خالد -رضي الله عنه- وبطولاته وأن المعركة التي يدخل فيها خالد سيف الله المسلول لا بد وأن ينتصر جيشها، فتشَّ عن قائدٍ آخر فلم يجد فقال: أعجزت بطون النساء أن تلد مثل خالد! أين الأمهات اللاتي يلدن ويربين وينجبن الذراري؟ أعجزت بطونهن أن تلد مثل خالد!

نحن عندما نعجز غيرنا لا يعجز، إحدى الأخوات جزائرية تربي أولادها في أمريكا، في كل صباح قبل الذهاب إلى المدارس تقرأ عليهم قصة من قصص الصحابة رضوان الله عليهم، وسمّت كل واحد منهم باسم قائد، هذا الزبير وهذا المقداد، وتعلم كل واحد منهم ماهي المعارك التي فاز وانتصر فيها، وتريهم خارطة العالم الإسلامي كله، فيشعر الواحد منهم أن له هم، أن لي وظيفة في هذا العالم، وليس الأمر أن أتخرج من الدراسة حتى يصبح لدي راتب وأمتلك المال،

ولذلك بعض الأولاد فهموا الفكرة بشكل خاطئ، لماذا أدرس وأتخرج؟ حتى أحضر المال، إذًا سأصبح لاعب كرة وأحضر المال، أو سأصبغ شعري بنفسجي وأصبح مشهورًا وأمتلك المال، فإذا كانت القضية المال فهم يرون أن بإمكانهم أن يمتلكوه من أي طريق ثانٍ، لماذا الطريق الصعب الذي نحن نتكلم فيه الآن! **يحدث ذلك عندما نفقد نحن الهم الذي نربي عليه أبناءنا.**

في ميزان خديجة -رضي الله عنها-

إن حسنات أهل مصر كلها في ميزان القائد الذي فتحها عمرو بن العاص، وعمرو بن العاص في ميزان عمر بن الخطاب، وعمر بن الخطاب في ميزان أخته فاطمة بنت الخطاب، وفاطمة بنت الخطاب في ميزان خديجة بنت خويلد -رضي الله عنهم جميعًا- لماذا خديجة لها هذه المكانة في سيرة النبي عليه الصلاة والسلام؟ ولماذا لها هذه المكانة أن يأتي جبريل ويبشرها: جاء في الحديث: أَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَّرَ خَدِيجَةَ بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، «بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ» [أخرجه مسلم، صحيح].

لأن خديجة لم تخذل النبي عليه الصلاة والسلام في اللحظة الأولى، لما جاءها وعرفت أنها النبوة ما قالت يا رسول الله أنت بالأربعين وأنا بالسبعين نحن لا طاقة لنا، لا بأبي لهب ولا بأبي جهل ولا بصناديد قريش، لا بل قالت: قالت: "أَبْشِرْ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا"[أخرجه البخاري، صحيح].

وكانت هي جيشه الوحيد حينما لم يكن للنبي عليه الصلاة والسلام أحد يؤمن به، هذه الوقفة الأولى التي وقفتها كانت عند الله بمكان عظيم، لأنها نصرت النبي عليه الصلاة والسلام إلى آخر رمق، كان هذا هو الهم الذي تحمله كيف تنصرهم؟ لو أنها فكرت أن تخذل النبي عليه الصلاة والسلام سنراه تفكيرًا عقلانيًا ومنطقيًا، لأن النبي عليه الصلاة والسلام جلس في مكة ثلاث عشرة سنة حتى يخرج منها، وإلى ذلك الوقت لم تنتصر الدعوة! لا بل جلس ثلاث عشرة سنة حتى يخرج منها مختبئًا هاربًا، تخيلوا كمية الأذى والصعوبة في أن تدعو في مثل تلك البيئة، ومع ذلك خديجة لم تخذله وإنما أسلم عليها أوائل الناس ونصرت النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن توفيت رحمها الله ورضي عنها وأرضاها، كان هذا هو همها.

فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام كانت تفكر وشوهدت يومًا وهي شاردة قلقة ومتوترة، فقيل لها: ما بك؟ قالت: **إني تفكرت أني إذا مت وحملوني الرجال على الأعناق كيف ذاك؟**

يعني إذن ننكشف! فقط سيلفونني بقماشة ويضعونني أمام الرجال، يصلون علي ثم يذهبون بي للمقبرة، فسيرون بذلك تفاصيل جسمي، أرأيتم كيف هو العفاف والفطرة؟ هي في الحقيقة جثمان ليست امرأة حية تتحرك وتلبس العباءة وتشدها على خصرها حتى تظهر مفاتنها كلها، ولم تفتح عباءتها لتظهر كل ما تحتها، لا، بل هي تحمل هم اللحظة التي سيضعونها أمام الرجال ويرونها، بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه ومع ذلك هي تحمل هم هذه اللحظة الأخيرة، فما سري عنها هذا الهم حتى نقلوا لها فكرةً كانوا رأوها في الحبشة، أنهم إذا توفيت النساء كانوا يضعون عليها مثل سعف النخيل الذي نراه الآن في مكة يضعونه على الجثمان مثل القوس الدائري.

<u>لو كانت غير الجنة لفعلت</u>

استهم يوم بدر سعد بن خيثمة وأبوه، وكان سعد هو الولد الوحيد لأبيه والبقية بنات، فأحدهم لابد أن يجلس، فخرج سهم سعد، فقال له أبوه: يا بني! آثرني اليوم! فقال سعد: (**يا أبت! لو كانت غير الجنة فعلت**، إن الأنصار يعلمون أنه ما من بيت في المدينة أبر فيها ولد بوالده مني). فقال فلنستهم، فخرج سهم سعد فقال له أبوه: يا بني! آثرني اليوم! فقال سعد: (يا أبت! لو كانت غير الجنة فعلت) فخرج فقتل فيها ومات شهيدًا.

فلما جاءت غزوة أحد -مع أن الأب قد كبر في السن ولم يكن أحد عند بناته إلا أنه جاء ليسجل اسمه في الجيش المسلم- فرأى النبي عليه الصلاة والسلام فتبسم له تبسم المشفق ففهم خيثمة أن رسول الله سيرده فسابق وقال: يا رسول الله لقد كنت حريصًا أن أنفر معك في بدر لكن ولدي سعد فاز بها دوني، فرزقه الله الشهادة والجنة، ولقد رأيته البارحة في نومي يسرح في ثمار الجنة وأنهارها ويقول لي يا أبي الحق بنا، رافقنا في الجنة فوالله قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وأني يا رسول الله أصبحت مشتاقا إلى الجنة ومرافقة سعد في الجنة وإني قد كبرت سني ورق عظمي وأحببت لقاء ربي، فخلى بينه وبين أحد وقال ادع لي يا رسول الله أن يرزقني الشهادة، فرزقها ومات في تلك المعركة.

كانوا يستهمون على ماذا؟ هل الجنة مفتوحة يدخلونها بباب؟ الطريق إلى الجنة محفوف قد يقتل شهيد أو يخرج مشلول تأتيه الضربة في عاموده الفقري، أو قد تنشل يده مثل أبي طلحة وغيره، أو كأم عمارة

التي دخل في كتفها فحصل لها مثل التجويف في داخل الكتف، وقد تفقأ عينه، وقد يؤسر ويعذب مثل ما حصل في خباب وغيره، هذا كله حصل في كثير من الصحابة -رضي الله عنهم- أجمعين، ومع ذلك يتنافسون على هذه الحرب وعلى هذا القتال!

وخيثمة في أُحدٍ يقول: (رق عظمي وكبر سني) وقد كانت هذه الأعذار كافية للجلوس، لكن الهم أعظم ولم تكن تلك الأعذار لتقعدهم، يقول شارحو الحديث: (قاتل خيثمة بن الحارث قتال الشباب الفرسان، فما زال يثخن في الكافرين في جراحاتهم)، أي ما قاتل قتال شخص كبير السن، لأنه يريد أن يموت فقط، لا بل أثخن أي أوجعهم أوجع المشركين حتى أثخنوه بالجراح فلحق بابنه سعد.

كانت هذه هي اهتماماتهم، أما الذين ينشغلون بالدنيا فقال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البيهقي وصححه الأمام الألباني من حديث أبي هريرة قال النبي عليه الصلاة والسلام:" إنَّ اللهَ تعالى يُبغِضُ كلَّ جعْظَرِيٍّ جوّاظٍ، سَخّابٍ في الأسواقِ، جِيفةٍ بالليلِ، حِمارٍ بالنهارِ، عالِمٍ بالدنْيا، جاهِلٍ بالآخِرَةِ." [أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: إسناده حسن]

هذه مهداة للذين تتوقف اهتماماتهم في الدنيا فقط، جعظري أي فظ غليظ متكبر ويشعر وكأنه عنده شيء غير موجود عند غيره، جواظ أي الجموع الذي يجمع الأموال، مناع أي يمنعها فهو آخر من يتصدق وآخر من يهدي، يجمعها ويمنعها بخيل وشحيح فإن الله يبغض هذا الجعظري الجواظ ثم إنه يملئ المكان صخبًا إذا دخله، جيفة في الليل ما يقوم إلا إذا أشرقت الشمس، حمار شغل في النهار من أجل الدنيا فقط، عالم في كل شيء في الدنيا والسياسة والفن والكرة وآخر التطورات في أسواق الأسهم وآخر الأنباء، جاهل بالآخرة، لو سألته فقط سؤال ماذا أعددت للآخرة؟ لقال لا أدري! هؤلاء يبغضهم الله عز وجل.

ولذلك الصحابة رضوان الله عليهم كان أحدهم إذا تصدق بصدقة بشّر بها، مثل الصحابي الذي تصدق بناقة مخطومة جاء بها إلى النبي عليه الصلاة والسلام، عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ بِنَاقَةٍ مَخْطُومَةٍ، فَقَالَ: هَذِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُ مِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ» [أخرجه مسلم، صحيح].

لأن الحسنة بسبعة أمثالها إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء، أي أنت تصدقت بألف تكتب مباشرة سبعين ألفًا إلى سبعمائة ألف والله يضاعف لمن يشاء وهذا من كرم الله عز وجل على عباده.

عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لما أراد التجار شراء البضاعة منه في عام الرمادة فيقول لهم: أتزيدون، فقالوا: نشتريها منك بالدرهم ودرهمين، ثم زادوه: بخمسة دراهم وبسبعة دراهم قال: لا عندي أكثر من ذلك، قالوا: مَنْ الذي أعطاك أكثر مما أعطينا؟ نحن تجار المدينة! قال: إن الله وعدني بالدرهم بعشر أمثالها وقد بعتها لله. فسبل هذه القافلة التي قد تكون هي ضربة العمر سبلها كلها لفقراء أهل المدينة، ولذلك "ما ضرّ عثمان ما فعل بعد اليوم" كما قالها النبي عليه الصلاة والسلام لعثمان لأنه تاجر ولم يكن من أهل الدنيا، فالمال لم يكن يومًا من الأيام هو همه الذي يقعده ويقيمه.

أغناك و سدّ فقرك

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ " [أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح]

فتجد نفسك طوال الوقت وأنت مشغول، ويمضي عمرك دون أن تحس بالرضا والشبع، فالدنيا لا تكفيك لأنك طوال الوقت تشعر بالنقص فكل الناس عندهم ما يكفيهم وأنت ليس عندك. ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام :" «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ» [أخرجه الترمذي، وقال الألباني: صحيح]

ترون ذلك في هؤلاء الذين يجمعون ملايين الأموال، ترون أحدهم دائمًا عينه شحيحة ويشعر أنه ناقص، وقد تجد غيره ما عنده ربع الذي عند الآخر لكن مع ذلك تشعر أن يده كريمة سخية وكل ما عنده يعطيه، ولو سألته عندك يقول نعم وربما ليس عنده، ويأتي لك بالموجود لأن عينه ممتلئة، أما الآخر فلا يرى أن عنده شيء، لأنه إذا كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له. اسمع هذا الحديث، يقول النبي -صلى الله عليه وسلم- : «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ الْمَعَادِ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهِ هَلَكَ» [أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: حسن]

تموت أو لا تموت لا يبالي الله فيك، لأنك أنت لم تبالي بهمّك عند الله عز وجل، ولذلك أختم بالسؤال الذي بدأت فيه، مالهم الذي تحمله؟ ما هو الشيء الذي دفعته أنت لرضوان الله -عز وجل- والجنة؟

نساء قدّمن المهور!

عن أنس قال: خطب النبي صلى الله عليه وسلم على جليبيب امرأة من الأنصار إلى أبيها، فقال: حتى أستأمر أمها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " فنعم إذًا " قال: فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها، فقالت: لاها الله إذا، ما وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جليبيبا وقد منعناها من فلان وفلان؟ قال: والجارية في سترها تستمع. قال: فانطلق الرجل يريد أن يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فقالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره؟ إن كان قد رضيه لكم، فأنكحوه قال: فكأنها جلت عن أبويها، وقالا: صدقت. فذهب أبوها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن كنت قد رضيته فقد رضيناه. قال: " فإني قد رضيته ". فزوجها، ثم فزع أهل المدينة، فركب جليبيب فوجدوه قد قتل، وحوله ناس من المشركين قد قتلهم، قال أنس: " فلقد رأيتها وإنها لمن أنفق ثيب في المدينة " [أخرجه أحمد ف يمسنده، وقال الألباني: صحيح]

فالبنت التي أصلًا مطلوبة، وكانت أكثر حظوة من بنات المدينة، ما ردت على رسول الله، وأخذت رجلًا ليس من مقامها، وكانت تشعر أنه من الضعفاء ومن الفقراء، قبلته فقط طاعة لأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم

يمتحنها الله كثيرًا، في أول ليلة في عرسه تقوم المعركة فيقاتل جليبيب فيموت وهو الذي قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام حينما بحث عنه في المعركة قال: أين جليبيب أني أفقد جليبيب، فلما رأوه بين سبعة قال: قتلهم فقتلوه هذا مني وأنا منه، هذا جليبيب. هذه الفتاة ضحت بحياتها طاعة لله ولرسوله.

سمية أم عمار -رضي الله عنهما- قدمت حياتها وعمرها أيضًا طاعة لله ولرسوله، **فكانت أول شهيدة في الإسلام** قتلها أحد كفار قريش حينما وضع الرمح في أسفلها حتى خرج من صدرها، معلقة مصلوبة فماتت، كانت تعذب على أن تكفر بالله فما كفرت.

من منّا يستطيع أن يبذل هذا البذل؟

أم موسى -رضي الله عنها- لما أمرها الله أن تلقي ابنها في البحر ألقته. وامرأة فرعون كانت هي سيدة مصر الأولى، ومع ذلك لما آمنت أصبحوا عبيدها يعذبونها ويخرجونها في الشمس فتصلب، كل واحدة من هؤلاء قدمت مهرًا للجنة.

ماذا قدّمت مهرًا لها؟

أنت وأنا ماذا قدمنا مهرًا للجنة؟ ولذلك ما هو الهم الذي يقعدنا ويقيمنا؟ ما هو الشيء الذي من أجل الآخرة نعيش ونموت عليه؟ وما هو الشيء الذي دفعناه من أنفسنا ومن شهواتنا ومن عادتنا التي اعتدناها،

أي شيء نحبه وتركناه لله عز وجل إذا لم يكن يرضيه، شيء في أنفسنا بدلناه لأن الله لا يرضاه، في أبنائنا ما الذي قدمناه منهم؟ في أموالنا ما الذي قدمناه منها؟ ماذا عملت أنت لله؟

هل تستطيع أن تقول هذا أرجى عمل عندي وهو مهر الجنة الذي قدمته؟ أنا أخرجت هذا الشيء من قلبي وخرج من روحي، قد يكون هو مهر الجنة، تسمع صوت النبي عليه الصلاة والسلام وهو يقول لك أوجب فلان، لأنك عملت عملًا لا أحد يستطيع أن يفعل مثله، "ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم" ، "أوجب طلحة" ، "من سره أن ينظر إلى شهيد على وجه الأرض فليفعل"، "إني رأيت قصرًا عظيماً وهو لعمر"

كان النبي عليه الصلاة والسلام يبشرهم وهم لم يموتوا بعد، لأنهم دفعوا مهور الجنة ، وأنت ماذا دفعت؟ ما الذي تركته لله؟ ما الشيء الذي تقول عنه أنا تركت هذا الشيء لله منذ خمس عشرة سنة وأسأل الله أن يثبتني إلى ما بقي من عمري، لم يكن بالأمر السهل علي أن أتركه ولا أن أغيره لطبيعة مجتمعي الذي أنا فيه، لكن تركته لله ولوجهه الكريم، بغضّ النظر هل فيه خلاف أم ما لا خلاف فيه طالما أنه هو الأفضل والأحسن وهو الأكمل عند الله عز وجل فأنا فعلته،

فما الذي تركته من أجل ربك؟ ما الذي فعلته من أجل ربك؟ ما هو الهم الذي يقعدك ولا ينيمك؟

أسأل الله ألا يجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا، وأن يجعلنا ممن اصطفاهم لخدمة كتابه وسنة نبيه، وأن يجعلنا صالحين مصلحين هادين مهديين، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلّ بروح المحاضرة ومعانيها